الخاتمة

تلك صورة واضحة تعكس ما للإلوري من رؤية حصيفة في الأدب الإسلامي فكرة وأداء .

وأما الفكرة ؛ فقد أفصحت عن كونها طاقة عقلية واعية تخوض معارك الحياة وفق إرادة مولاها الصانع الحكيم ، فغدت ربانية الروح صالحة للإنسانية كلما صدقت عزيمتها على جادة الاستقامة لاستشفاف قيمها ومثلها عند إعمال ذكائها ، وإيقاظ شعورها بقوانين التفكير عبر سنن الطبيعة وأسرار الكون ضماناً لسعادتها في شتى المناحي .

وفي الأداء آمن أن تكون صياغة فنية مرنة تواكب روح النص نابعة من ثوابت تمتد إلى سنن العرب في إبداع روائع كلامها ، فتنهض القوى البلاغية من قدرة واسعة في تخير بدائع المفردات والتراكيب ، والصور والإيقاع ، تحكمها سلامة الذوق ، وبراعة الفن .

وعلى مدى هذا البعد العميق لحقيقة الفكرة والأسلوب حسب التصور الإسلامي في الخالق وكونه تتكامل منهجية الأدب الإسلامي ثابتة على قوائم وأركان تستمد قواها من كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ وما تقفاهما من آثار وتيارات تستجد على الأمة الإسلامية عند تفاعلها مع عناصرها الإنسانية تحدوها خطى واسعة في مدارج الحياة لتحقيق الرخاء والخير والمجد والحياة.

واتضح في الباب الأول كيف عاش الإلوري طفولته الأولى في ظل أسرة إيمانية تعتقد بأن صناعة الكلام لأداء الدعوة في سبيل الله ، والإعلام بهداه شعيرة من شعائره ، وسرعان ما ناهز سن الرشد عكف على ينابيع العلم ، والفكر ، والأدب ، والفن ، على يدي شيوخ ودعاة يحملون إلى الناس رسالة الله حسب ما أقدرهم على بدائع القول وروائع البيان ، ولما جاءته فترة الأداء

والعمل نشِط نشاطا واسعاً ساعدته عوامل قوية على تغذية ذاكرته ، وصقل أسلوبه ، فأتى أدبه ثمرة ناضجة تلاحم تيارات عصره ، فعمرت ما شغرت عنه مكتباتنا العربية دفاعا عن حقائق الإسلام وتراثه المجيد خصوصا ما حاوله لاسترداد ما سلبته عاديات الحدثان من معالم حضارية .

وأما الباب الثاني ؛ فقد استهله ببراعة مقتضية عرض فيها مفهوم الأدب الإسلامي معجميا واصطلاحياً ، ونزع عن قوس أئمة البلاغة الذين يتخذون فقهاء اللسان العربي المقتدرين لربط هذا المنهج في ظاهره الحديث بباطنه القديم ، فتتبع أبعاد مفرداته عبر القواميس والمعاجم العربية واتجاهاتها في تشكيل المعاني وتلوين الأغراض دون أن يلهو عن وجوه جديدة تجري مجرى الحياة من أحداث ، وتيارات ، وضعت نقاطا هامة على الخارطة الأدبية في مسيرتها الإنسانية عاقداً القول المركز على نشأة المنهج وتطوره وعوامله وظروفه المحيطة ، ومشيدا بأعلامه البارعين ، وما قاموا به من جهود عظيمة ، ولم ينثن عن الإشارة الدقيقة إلى ملامح قوية تدعم هذا الاتجاه الأدبي من واقع تراثنا النيجيري ، منطلقا إلى عرض صور عامة في أدب الإلوري الإسلامي ، لعل ذلك يؤتي مفهوما دقيقا عن التكامل والشمولية لا في الديوان وحده بل في جميع فنونه .

أما الباب الأخير ؛ فقد أبدى فيه الإلوري بطولة وشهامة متصديا لمقاومة الطواغيت من مسيحية وصهيونية وعلمانية ، وكل ما على شاكلتها من أصحاب المبادئ الهدامة في خندق مخاصمة هذا الدين الحنيف في شتى مناحي الحياة العلمية والفكرية والسياسية والعربية عبر ما يبثونه من برامج معادية للإغواء ، وقد اتخذ الشاعر لمناهضة هؤلاء المعاندين المنطق السليم ، والبيان العربي القويم سلاحا يقطع به أعناق هؤلاء الخصوم ، ولم يزل يكر على غواربهم التي ينازلون بها الإسلام وقضاياه بما آتاه الله من قدرة عقلية ، وأداء عربي مبين وكان نضاله في كليهما يمثل عودة جديدة لم نحفل بها في كثير من أمثاله

ومعاصريه ، فلا غرو إذا عد عبقري جيله وعالم زمانه ، وعلى هذه الشاكلة عني الكاتب بمتابعته دراسة ، وتحليلا ، وبياناً ، وموازنة ، وحكما ، مزاوجا بين حقائق الفكرة والأسلوب على ما تواضعت له مقاصد الأدباء الإسلاميين ، وجلائل آراء نقادهم من مقاييس عند عرض أركان النصوص على صورة عادلة وبناءة .

وفعلا قد التزم هذه الحدود ، وصاحب الشاعر عبر رحلاته مستقرئا الأحداث وتفاعلها مع ظروفها باعتبارها عوامل كونت شعوره وفكره فدفعته إلى تخير أنماط راقية في الأداء الفني فصاغها صياغة إبداعية تؤتي مجالات واسعة في الدراسة والموازنة بين الاتجاهات وتهيب بالملاحظة في وجوه ونظائر ، فربط الله على قلبه مثابرة وشجاعة ورزانة ومرونة عند إصدار الأحكام مقيما الوزن بين الأسباب والنتائج ، ومتحريا الصدق والأمانة والوفاء ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وكم عانى الكاتب من جهود ناصبة لتقريب الديوان إلى أذواق الأدباء وأوساط البيانيين من ذوي الملكة والبراعة ، وهي مهمة تستدعي طاقات جليلة من القوى النفسية ، والعقلية ، والذوقية ، وتستوجب طول الممارسة والدراسة ، وتستوفي ذكاء التجربة والخبرة ، وتستلهم الحس ، واليقظة ، والوعي ، وتستدعم سلامة الفقه ، وسداد الحكم .

وإذا اقتضت ظروف الحياة المتجددة تطور تراثنا بهذا المنهج الإسلامي على ضوء خصائص ومعالم ، ولقي من تيارات تذكيه فإن دراسة أدبنا كذلك ينبغي أن تدعمها عوامل الرقي فتؤتي صورة صادقة لواقعنا المعاصر من يقظة وصحوة مطردتين .

وصفوة القول ؛ أن الأدب الإسلامي لدى الشيخ آدم الإلوري قد استقر فكرة وأسلوبا يفصح برؤية سليمة عن مواقع جريئة تسعى سعيا حثيثاً وراء عودة العزة الإسلامية .

تلك الرؤية الشفافة بما لها من ثوابت قوية تستلهم من آمن بها وأطاعها من تلامذة وحَوارٍ مخلصين أن ينهضوا نهضة رجل دون تقطع إلى شيع وأهواء .

وإذا لم تتحقق هذه العزيمة السامية حال حياته لأسباب لم يكن هنا محل ذكرها ، فإن آراءها وأفكارها لا تخلو منارة تشع في القلوب يقظة واعية للسير في موكبها الإسلامي حتى ترسو إلى نوازلها المكينة .

والإسلام سجل حافل بعقبريات شامخة زاهية وأعجوبة تنوء كل حين بالكون متحدية بما لها من جلال وجمال ، وخلود وبقاء ، وسمو ورقي ، لكنها تقضي حكمة البارئ ألا تنحصر في بوتقة الكمال والنضوج إلا أن تمر بعنايته ـ جل شأنه ـ حلقات متسلسلة عبر مراحل وأزمان ، وعلى يدي رجال وأجيال.

وعلى صعيد الأمة الإسلامية ؛ فإن هذ المنهج يزداد كل حين صلاحية لحياتها لاسيما في ظروفها الراهنة حيث تموج مورات انتقادية ساخرة بكل ما هو إسلامي حينا ، وطامحة مستبشرة بمثله حيناً آخر ، وكلا الحالين تشتد فيه الحاجة الملحة إلى بناء نباهة إعلامية تثقف بقضاياها العادلة ، وتفصح عن مواقعنا الشجاعة ، وتدافع عن حرماتنا المجيدة ، وتصون مقدساتنا الجليلة .

وعلى الحكومات والهيئات الإسلامية أن تولي هذا الأدب عنايتها الكريمة ، وتقرره شعبة من شعبها ، إذ الحياة المثلى التي تشق طرقها لشعوبها ورعاياها من أمن واستقرار وطمأنينة ، ومن سيادة وقيادة وزعامة هي ذاتها الغاية التي يهدف إليها الأدباء الإسلاميون ، وبهذا يظل الجميع وعد الله :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ (النور:٥٥)، وإذا تقاعسوا وخذلوا ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة:٥٤) .

وصل اللهم وسلم وارحم وبارك على حبيبك المصطفى خير من أوحي إليه جوامع الكلم معجزة خالدة فبلغ الرسالة وأدّى الأمانة ، وعلى أبويه إبراهيم وإسماعيل ومن والاهما وانتهجهما مهتدين وهداة على الحق المبين .

وأسأل الله جل وعلا أن يديم السداد والتوفيق ، وهو الولي الحميد ، ونعم المولى ونعم النصير .

﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم:٤-٦) .

« والباقيات الصالحات خير عند ربّك ثواباً وخير أملا » .

البروفيسور عبد الباقي شعيب أغاكا ،

شعبة العربية بجامعة عثمان بن فودي ،

صوكتو ـ نيجيريا .

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م